Journal of Arabic Language and Literature
Volume (1), Issue (5) : 30 Dec 2022
P: 22 - 42
ISSN: 2790-7317
مجلة اللغة العربية وآدابها
المجلد (1)، العدد (5) : 30 ديسمبر 2022 م
ص: 22 - 42

Among the Moral Values in Pre-Islamic Poetry: An Objective Study

Suad Sayed Mahgoub
Language Teaching Center || Islamic University of Minnesota || Turkey Branch

Abstract: The study analyzes some texts of pre-Islamic poetry and illuminated the core moral values that Bedouin man had. All in effort to motivate soul and mind with the importance of these values that Holy Quran also stressed on. So many platforms had dealt with the essences of moral values in different methods and approaches highlighting its importance within pagan societal hierarchy. The same society that prophet Mohammed (PBUH) born and grow-up in. This study has of two chapters, in which; had had addressed the moral values in pre-Islamic era linking and stressed on achieving peace and the core cultural virtues, leading to thriving society and resulted in attainment of Bedouin man aspirations.

Keywords: Moral values, pre-Islamic poetry. Peace and stability, Honors, and virtues.

من القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي: دراسة موضوعية

سعاد سيد محجوب
مركز تعليم اللغات || الجامعة الإسلامية بمينيسوتا || فرع تركيا

المستخلص: وظَّفت الدراسة بعض نصوص الشعر الجاهلي، واستثمرت ما فيها من قيم واستنطقت قوافيها لتستخلص الآليات المناسبة لمعرفة القيم الأخلاقية التي تحلى بها الرجل البدوي؛ وذلك لشحذ الهمم وتبصير العقول والقلوب؛ بأهمية هذه القيم الأخلاقية السامية التي أمَّن القرآن الكريم عليها، وسبق أن طرحت هذه القيم على عدة منابر، برؤى مختلفة ومتباينة، وذلك لأهميتها؛ لأنها شكلت منظومة المجتمع في العصر الجاهلي، هذه المجتمع الذي نشأ وترعرع فيه سيد الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم.
اقتصرت الدراسة على محورين فقط من محاور القيم الأخلاقية التي تحلي بها الرجل البدوي، ومدحه بها الشعراء وافتخروا بها. ناقشت الدارسة محوري: الدعوة إلى السلم ومكارم الأخلاق؛ لأن هذين المحورين هما ركيزة البناء في أي مجتمع من المجتمعات وبهما حقق الرجل البدوي جل طموحاته في مجتمعه فضلا عن ذلك فقد كانت هذه القيم مصدر إلهامه وفخره واعتزازه.

الكلمات المفتاحية: القيم الأخلاقية، الشعر الجاهلي، السلم والاستقرار، المكارم والفضائل.

المقدمة

الدراسة تحمل عنوان" من القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي دراسة موضوعية" وتطرح سؤالا مهما، هل يمكن أن نستخلص من الشعر الجاهلي بعض القيم والفضائل والإجابة تثير الدهشة؛ لأن الشعر الجاهلي كنز نفيس كل يجد فيه ما تشتهيه نفسه وتتمناه؛ وهو علم قوم لم يكن لهم علم سواه، قذف الله تعالى فيهم حب اللغة؛ حتى يتحداهم من جنس الشي الذي كانوا يفخرون به. قال تعالى: ﴿** اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ **﴾ [1]

تختلف القيم الأخلاقية من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى، بل من فرد لآخر؛ لكن في أبسط معانيها تعني التزام الفرد بما تمليه عليه عقيدته، أيا كان نوع هذه العقيدة، وبناءً على ذلك يستطيع الفرد أن يحقق العديد من

(1) من سورة الأنعام آية / 124.

المكاسب، أهمها تحقيق الذات وراحة البال، والأمن والطمأنينة والراحة النفسية؛ ولا يحس بهذه المكاسب ولا يعرفهم إلا من يفتقدها.

محاور القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي كثيرة ومتعددة ومتباينة؛ وهي كل صفة طيبة يشتهي الرجل أن يوصف بها أو تلتصق به، ولم تترك قوافي الشعراء فضيله من الفضائل إلا ومدحوا بها أو فاخروا بها؛ لذا حببوا إلى الناس التحلي بها ورغبوهم فيها، وسادت هذه القيم وأصبحت من ركائز عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم التي نشأوا وترعروا فيها، كذلك أصبحت من أهم مصادر إلهامهم وحاديهم في منظومهم ومنثورهم، ومن هذه القيم الأخلاقية: الفروسية التي تضم حزمة من الفضائل، وما يتبعها من نخوة وشجاعة ومرؤة وإيثار وتضحية ونكران ذات وكرم، فضلا عن الترفع عن الدنيا دقها وجلها.

حدود البحث:

تناولت الدراسة محورين فقط من محاور القيم الأخلاقية؛ التي عض عليها الرجل البدوي بالنواجذ؛ وهما تحقيق الدعوة إلى السلم والالتزام بمكارم الأخلاق؛ وهما مصدر فخر الرجل البدوي واعتزازه وكذلك من أهم مصادر إلهامه.

وقد اختارت الدراسة الشعر الجاهلي؛ الذي ما فتىء وسيظل موضع اهتمام وبحث وتنقيب مهما تقادمت العصور؛ لفصاحته وبلاغتها، كذلك لما فيه من قيم ومكارم؛ وهو سجل ضخم حفظ المتون وضم شتى أنواع الفنون، كما ضم بين دفتيه العديد من القيم والفضائل ترجمت حياة الرجل البدوي.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى استخلاص القيم الفاضلة في الشعر الجاهلي، ومن أهدافها كذلك توظيف ما جادت به القرائح في العصر الجاهلي؛ لترسيخ القيم الفاضلة؛ التي تحلى بها المجتمع الجاهلي.

وأرى لابد من رفع الظلم الذي وقع على هذا العصر وتوضيح صفة الجهل التي وصف بها، كذلك تهدف الدراسة إلى تغيير بعض المفاهيم، التي رسخت في الأذهان إلى أن العصر الجاهلي كان عصرا داميا، اتسم بالسفه والطيش. ولم تعرف القيم الفاضلة طريقها إليه.

أهمية البحث:

الشعر الجاهلي هو ديوان العرب سجلوا فيه كل تفاصيل حياتهم، ولا يمكن الإحاطة به وبكل القيم الأخلاقية؛ لذا تأتي أهمية الدراسة في التركيز على محورين فقط هما الدعوة إلى السلم، والالتزام بمكارم الأخلاق، ومن أجلهما سل الرجل الجاهلي سيفه وقاتل، ومن أجلهما كذلك نظم القصيد؛ لأنهما عماد منظومة حياته ومصدر فخره وإلهامه.

الدراسات السابقة:

الدراسات التي تناولت القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي قد لا يتسع المجال لذكر بعضها ناهيك عن كلها، ولكن ما زال الروض أنفًا والحقل بكرًا، وكل باحث أو دارس يتناول الموضوع من منظوره الخاص، ومن هذه الدراسات القيم الأخلاقية في لامية الشنفرى لإنتصار مهدي عبد الله (جامعة الإمام المهدي ـ السودان) حيث تناولت الكاتبة لامية العرب مع شرح لنماذج منها توضح كيف تحلى الرجل البدوي بهذه القيم قبل ظهور الإسلام، كذلك من الدراسات في هذا المضمار الفضائل الأخلاقية في الشعر العربي الجاهلي لتميم فاخوري؛ حيث حاول الباحث رصد

هذه القيم وتبويبها، وهنالك بحث مشترك بعنوان القيم الأخلاقية وجماليتها في الشعر الجاهلي معلقة زهير بن أبي سلمى أنموذجًا من تأليف (مونسى مصطفى وعبيد الله محمد) جامعة أبي بكر بلقا يد ، الجزائر، وأمنت هذه الدراسة على تمسك العرب بالقيم الأخلاقية ، كما خلصت الدراسة إلى أن منبع الأخلاق مرده إلى البيئة؛ التي فرضت وجودها وسيطرت على الإنسان ، ودراسة أخرى تحمل عنوان القيم الخُلقية والاجتماعية المستنبطة من معلقات الشعر الجاهلي السبع ،وأساليب تنميتها لدى طلاب المرحلة الثانوية للطالب قُليل بن حسين العبدلي من المملكة العربية السعودية جامعة أم القرى؛ وكان الهدف من الدراسة التعرف على القيم الخُلقية والاجتماعية التي تناولتها المعلقات السبع ثم وضع تصور مقترح لتنميتها لدى طلاب المرحلة الثانوية. وغير ذلك الكثير من الدراسات التي يضيق المجال ولا يتسع لذكرها. وهذا غيض يسير من فيض نمير.

منهج البحث:

اختارت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ لملائمته لطبيعة الدراسة، ولما يتمتع به من مرونة وشمولية؛ تمكن الباحث من تحقيق أهداف الدراسة.

أسئلة الدراسة:

طرحت الدراسة العديد من التساؤلات منها: ما مفهوم القيم؟ وما ضروبها؟ وما أهميتها؟ ما مدى إمكانية توظيف الشعر الجاهلي لمعرفة منظومة القيم الأخلاقية في العصر الجاهلي؟ كل هذه التساؤلات وغيرها ستكون موضع البحث والتنقيب.

هيكل الدراسة: يبدأ بمقدمة وينتهي بخاتمة، والنتائج والتوصيات. وما بينهما مبحثين على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم القيم الأخلاقية.

المبحث الثاني: جاء يحمل عنوان من القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي.

الخلاصة: أمنت الدراسة على أهمية دراسة الشعر الجاهلي؛ لمعرفة ما حواه من قيم أخلاقية سامية.

النتائج: وتناولت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

التوصيات: سجلت الدراسة بعض التوصيات في هذا المضمار.

المصادر والمراجع: في مكتبة البحث تم الإشارة إلى المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

المبحث الأول

أ- مفهوم القيم الأخلاقية:

من معاني القِيَم في اللغة الاسْتقَامَة [(2)] ومن ذلك قول كَعْب بن زُهَيْر:

هُمُ ضربوكم حِين جُرتم عَن الهُدَى بأسيافكم حَتَّى استقمتُم على القِيَمْ[3]

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال (2000م) ، لسان العرب، بيروت ، لبنان ، دار صادر للطباعة والنشر مادة قيم.

(3) السكري، أبو سعيد(1989م) ، ديوان كعب بن زهير، تحقيق مفيد قميحة، الرياض المملكة العربية السعودية، دار المطبوعات الحديثة، ص138.

وأدرك الرجل البدوي وهو في قمة جاهليته أهمية الاستقامة في حياته؛ لذا تحلي بكل ما يفضي إليها، ووضع القيم الفاضلة نصب عينيه وتمسك بها؛ حتى يحقق حياة آمنة مستقرة له ولمجتمعه، حياة ينعم فيها الفرد بحق العيش الكريم وتحترم إنسانية الفرد ومعتقداته وموروثه الثقافي؛ لأن القِيَم حزمة من الفضائل الدينية وما تعارف عليه أفراد المجتمع من قيم اجتماعية أو ألفوه وبصلاح هذه المحاور يصلح المجتمع. :" وكلُّ من ثبتَ على شيءٍ وتمسّك بِهِ فَهُوَ قَائِم عَلَيْهِ "[4]

لقد تعددت ضروب القيم الأخلاقية وتباينت أنواعها منها؛ السؤدد ومكارم الأخلاق وما تضمه من نخوة وفروسية ومرؤة؛ حتى الحرص على الثوابت والأصول من القيم الأخلاقية النبيلة؛ وما حوته الأعراف والتقاليد والثقافات المختلفة من قيم سامية؛ فضلا عن الهوية واللغة. وتضم القيم بين دفتيها معان عديدة؛ لذا يختلف مفهومها من ثقافة لأخرى ومن فرد لآخر؛ لكن في أبسط معانيها تعني راحة البال والأمن والطمأنينة؛ ولا يدرك معنى هذه المعاني ولا يحس بها إلا من يفتقدها.

الأخلاق في اللغة جمع خُلق، والخُلُق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خُلِق عليها، ومما ورد في تعريفها: " الخُلقُ هو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المتخصصة بها بمنزلة الخلق، لصورته الظاهرة، وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة، وأوصاف قبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة، أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح الخلق".[(5)]

ومن حيث الاصطلاح تعدد تعريف مفهوم الأخلاق وتباين؛ إذ تم تعريفها من زوايا مختلفة وبرؤى مختلفة منها الجانب الديني أو الثقافي، أو من منظور العادات والتقاليد والأعراف، وفي التراث الأدبي عرف الجاحظ (ت 255هـ) الأخلاق بقوله هي:"حال النفس بما يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار، والخلق قد يكون في

بعض الناس غريزة وطبعًا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد كالسخاء يوجد في كثير من الناس من غير رياضة، وكالشجاعة والحلم والعفة، والعدل وغير ذلك من الأفعال المحمودة". [(6)]

ونستنتج من ذلك أن القيم الأخلاقية متشعبة في أودية شتى ومتعددة المشارب، ومعجمها يضم العديد من المعاني، فكل ما يدور في فلك المحافظة على العقيدة والهوية وحماية المجتمع؛ من أي فكر دخيل يحاول أن ينزع الثوابت والأصول من جذور المجتمع أو يزحزحهما ويطمس معالمهما أو يشوه ملامحهما ويهدد ثوابت المجتمع واستقراره، ويدعو إلى الانفلات وعدم الانضباط ويعطل مسيرة تنميته وتقدمه، كل هذه المعاني تصب في بوتقة القيم الأخلاقية.

ب- من أنواع القيم الأخلاقية وضروبها

في عصر العولمة والرقميات تباينت ضروب القيم الأخلاقية، وضمت بين جناحيها العديد من المحاور، قد تكون غير واضحة للعيان؛ ولكنها من صميم القيم الأخلاقية؛ لذا لابد من محاولة كشف النقاب عن المحاور التي قد تتشكل وتتلون وتلبس لكل حالة لبوسها؛ والهدف من ذلك الوقوف عندها وسبر أغوارها؛ حتى تُحارب أو تُستأصل من

(4)الهروي ، أبو منصور محمد بن أحمد ، (2001م) ، تهذيب اللغة،تحقيق محمد عوض مرعب ،بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي،ج267/9 .

(5) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (2000م) ، لسان العرب، مادة خلق.

(6) الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر (1989م) ، تهذيب الأخلاق، طنطا، مصر، دار الصحابة للنشر والتوزيع ، ص12.

المجتمع، عليه لابد من معرفة أشكالها وآلياتها وأساليبها والكيفية التي تعمل بها؛ لأنها قد تظهر بصور مختلفة وقد تتباين من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى.

من أنواع القيم الأخلاقية، الثبات على المبدأ وعدم التزعزع، ولا يستطيع الفرد يحقق هذه الغاية إلا في بيئة سليمة ومعافية من ضروب السلبيات المختلفة؛ حيث تتهيأ فيها الأسباب للفرد؛ ويستطيع أن يمارس فيها شعائره الدينية أو أعمال العبادات بحرية مطلقة.

القيم الأخلاقية من أهم ركائز المجتمع، وفي الوقت الراهن أصبحت المجتمعات في أمس الحاجة إلى التحلي بالقيم الأخلاقية والمحافظة عليها من أهم الأولويات، وفي غيابها يلهث الفرد خلف هوى النفس؛ عندئذ يختلط عليه الأمر وتضطرب حياته؛ لأنه عطل تفكيره؛ لأن القيم الأخلاقية هي الضابط الذي ينظم سلوك الفرد ويهديه سواء السبيل. وبالبعد عن الوازع الديني تزداد أهمية الحاجة إلى معرفة القيم الأخلاقية الفاضلة للتحلي بها؛ لذا لابد من الاهتمام بالعقول الغضة الطرية وتبصيرهم بعقيدتهم السمحة، وتعليمهم ما يحمله موروثهم الأدبي والثقافي والفكري من قيم سامية، وحمايتهم من الأفكار المنحرفة والدخيلة، كذلك حمايتهم من الذين يدسون لهم السم في الدسم، ولابد من بتر الأسباب من جذورها؛ لأنها من آليات الإرهاب والعنف وكل ما يزعزع أمن المجتمع واستقراره.

وأهمية التحلي بالقيم الأخلاقية تزداد يوما بعد يوم في عصر الانفتاح على ثقافات متعددة بفضل التقنيات الحديثة؛ وعلى الرغم مما تحمله التقنيات من إيجابيات ومنافع كثيرة؛ لكن هنالك بعض السلبيات؛ فقد أصبحت مطية لنقل الظواهر النابية، بل ساعدت على انتشارها؛ فأصبحت العدوى تنتقل من مجتمع لآخر في سرعة متناهية؛ لذا لابد من استثمار ما جادت به الحضارة من تقنيات حديثة وتوظيفها بطرق إيجابية لحماية المجتمع. المسؤولية تضامنية بين الدولة ومؤسساتها المختلفة، ولابد أن يسجل المجتمع حضوراً متميزاً في هذا الجانب. لتعزيز سلامته واستقراره.

ومحاور القيم الأخلاقية متعددة ومتباينة منها: المحافظة على الأصول والثوابت من ناحية العقيدة والقيم والمبادئ، فضلًا عن الموروث الثقافي والفكري، وما يعزز هذه النواحي من المحافظة على الهوية واللغة وقيم التسامح واحترام الرأي الآخر، وثقافة الاختلاف تحت مظلة التسامح، وانتهاج الوسطية منهجًا لتسير دولاب الحياة اليومي.

وبالتحلي بالقيم الأخلاقية تحافظ الأمة على هويتها وسيادتها، وتتمكن من درء أي يخطر قد يهدد كيان المجتمع؛ وبالتالي ينعم المجتمع بالاستقرار، وعلى عاتق القيم الأخلاقية تقع مسؤولية تنمية المجتمع وتقدمه واستقراره، وكلما علا كعب القيم الأخلاقية؛ كلما سما المجتمع وارتقى.

ونستنتج أن القيم الأخلاقية من الآليات التي تخلص الفرد من ذل العبودية الفكرية والتبعية، وتخلصه كذلك من الانكسار والخضوع والذل والهوان وجميعها من العناصر المثبطة لهمته وتشل حركته فتعطل مسيرة حياته، وتشوه ملامحه.

والبعد عن الوازع الديني من أخطر معوقات القيم والمبادئ؛ وهو مؤشر واضح لمدى تعطيل العقل وتحجره لأنه:" لو أُطلق العنان للعقل في أن يفكر بدون عقيدة تحمي هذا العقل والفكر وبدون منهج يحدد له أسلوب التفكير؛ لضل هذا العقل بفكره" غياب الوازع الديني تتولد سلسلة من الآفات، وتخلف خلفها العديد من الأزمات والآهات.

كذلك من سلبيات عدم الالتزام بالعقيدة ـ أيا كان نوعها ـ الحط من قدر ثقافة المجتمع، والانبهار بما أفرزته الحضارات الأخرى، والنظر للمجتمعات التي تدعي الحضارة والمدنية بعين الرضى والإعجاب، بل الرفع من شأنها؛ ومن الناس من ينسى ذاته ويتلاشى في ذات غيره، وتستعبده المظاهر الزائفة فيقع الفرد في براثن التبعية والانقياد من دون

وعي، والتقليد الأعمى[7] هكذا هيأت التبعية الأسباب للعديد من المساوىء وبالتالي يصبح المجتمع بيئة صالحة للعديد من الأمراض الاجتماعية لتفتك بالقيم والمثل وتزعزع الثوابت.

وفي الوقت الراهن والعالم يعيش تحت وطأة حزمة من التحديات التي قد تقهر العزائم، وتثبط الهمم تزداد أهمية القيم الأخلاقية؛ لأنها صمام الأمان والمفتاح السحري لعدد من المشاكل الاجتماعية؛ التي قد تعطل حياة الفرد، وعلى المجتمع أن يستثمر تقنيات الحضارة ويوظفها بمهنية واحتراف؛ حتى يحقق الغاية السامية منها، التي تتمحور حول التنمية والتطور والتقدم، ولن تتحقق هذه الأهداف إلا تحت مظلة القيم الأخلاقية؛ لأنها طوق النجاة.

مما سبق يمكن القول إن قيمة الأمة وقدرها يكمن في قيمها ومبادئها، وتستمدهما من التزامها العقدي أيا كان نوعه؛ وهي مصدر وحيها وإلهامها، وهي كذلك مؤشر مهم لمدى ما بلغه المجتمع من حضارة ورقي، ولن تصل أي أمة من الأمم إلى الرقي والتمدن؛ إلا إذا حافظت على قيمها الأخلاقية.

المبحث الثاني: من القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي

لقد تفرد الشعر الجاهلي وتميز برصانته وفصاحته وبلاغته؛ وهو سجل ضخم دونَّ فيه الشعراء كل شؤون حياتهم، وترجمت قوافيهم سلوكهم اليومي السلبي والإيجابي، وحملت القصيدة الجاهلية في أحشائها القيم العربية الأصلية، فضلا عن الفصاحة والبلاغة، وعرف الشاعر الأموي الأحوص (ت 105هـ) الشعر بقوله:

وَما الشِعرُ إلا خُطبَةٌ مِن مُؤَلِّفٍ بِمَنطِقِ حَقٍّ أَو بِمَنطِقِ باطِلِ [8]

ويتناول هذا المبحث محورين وهما الدعوة إلى السلم ومكارم الأخلاق

أ- الدعوة إلى السلم

الدعوة إلى السلم تعني نبذ الحرب وما تجره من ويلات وآهات، والدعوة إلى السلم من القيم والمبادئ التي حرص الشعراء على تناولها في شعرهم؛ حتى أضحت ثقافة مجتمع وجزء لا يتجزأ من سلوك الفرد في تعاملاته اليومية، كذلك نبذ مختلف أشكال العنف أو التوتر ونزع فتيل الحرب، لأن في غياب الحرب ينعم المجتمع بالاستقرار وراحة البال؛ وهذا مؤشر طيب يدل على مدى الحكمة التي يتمتع بها الرجل البدوي، وتعكس مدى عمق تفكيره واستشرافه للمستقبل، و ديوان العرب يزخر بالقوافي التي ذمَّت الحرب، وصور النابغة الجعدي مدى الهول الذي يلحق بالناس إذا اشتعلت نيران الحرب وحمي وطيسها:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ والشَّمسُ طَالِعَةٌ لا النُّورُ نُورٌ ولا الإظلامُ إظلامُ[9]

ومن الذين كرهوا الحرب عنترة بن شداد (ت 806 م) وهو الفارس المقدام الذي لا يشق له غبار وكان جُل شعره في الحرب ومع ذلك وصفها بصفات تدل على كراهيته لها وهو القائل:" أولها شكوى، وأوسطها نجوى، وآخرها بلوى".[10]

وذكر علي الجندي:" أن معظم قصائد العصر الجاهلي أو كلها لم تخل واحدة منها من الحديث عن الحرب أو ما يتصل بها " [11] بينما يرى ابن سلام:" يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج، أو

---

(7) من معاني التقليد اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل من غير نظر أو تأمل في الدليل ، ينظر بطرس البستاني (١٩٨٧م) ، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، ص699.

(8) جمال ، عادل سليمان، (1990م) ، شعر الأحوص الأنصاري، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي، ص 228.

(9) إبراهيم ، محمد أبو الفضل (د. ت) ، ديوان النابغة الجعدي، القاهرة ، مصر دار المعارف ط 2، ص83.

(10) ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي(1983م) ، العقد الفريد ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ،ج1/ 86.

قوم يغيرون ويغار عليهم، والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم نائرة، ولم يحاربوا، وذلك الذي قلل شعر عمان وأهل الطائف من طرف" [12]

وكره الرجل البدوي الحرب؛ لأنه عرف عواقبها الوخيمة ووقف على ما تخلفه من هلاك ودمار، وعبر عبيد بن الأبرص في بائيته عن هذا المعنى بقوله:

فَأَذهَبَهُم ما أَذهَبَ الناسَ قَبلَهُم ضِراسُ الحُروبِ وَالمَنايا العَواقِبُ [13]

كما وصف قيس بن الأسلت مرارة طعم الحرب وشبهها بالغول:

قالَت وَلَم تَقصِد لِقَولِ الخَنا مَهلاً فَقَد أَبلَغتَ أَسماعِ

أَنكَرتُهُ حَتّى تَوَسَّمتُهُ وَالحَربُ غولٌ ذاتُ أَوجاعِ

مَن يَذُقِ الحَربَ يَجِد طَعمَها مُرّاً وَتَحبِسهُ بِجَعجاعِ [14]

أنشد الشاعر الجاهلي قوافٍ كثيرة تحمل بين ثناياها أهمية السلم، وما يترتب عليه من فوائد جمة يحصد ثمارها الطيبة الفرد؛ وبالتالي المجتمع، والشعراء يومئذ كانوا بمثابة الأنبياء عند الأمم، لأنهم يحملون مشاعل النور، ومنهم من جند لسانه للذود عن الفضائل والمكارم ودعا إلى التحلي بهما، واستنهض همم الجمهور بمختلف ألوان طيفهم وتفاوت مراحلهم العمرية؛ للسير قُدمًا في دروب الخير والتحلي بالسؤدد والفضائل، ونبذ القبيح من العادات والتقاليد، وكل ما هو دخيل على ثقافة المجتمع يومئذ، وما قد يخدش الحياء وتنفر منه الفطرة السوية.

من هذا المنطلق تناولت الدراسة هذه المعاني؛ في محاولة لوضع رؤية واضحة وحقيقة عن أهمية الشعر الجاهلي وتوظيفه لتحقيق الاستقرار؛ ومتى تهيأت أسباب الاستقرار في أي أمة من الأمم؛ نمت الأمة وازدهرت بفضل ربها، وتحت مظلته تزدهر الثقافة، وشتى أنواع العلوم والمعارف، وهذه الآليات من أهم المعايير التي تقاس بها نهضة الأمم وتقدمها.

الشعر سلاح ذو حدين، وأخطأ من ظن أن الشعر الجاهلي كله لهو وعبث وغزل وشرب خمر وذم وهجاء، و انتهاك حرمات، وكذلك أخطأ من ظن أن المجتمع الجاهلي كان يخلو من القيم الإنسانية، ومكارم الأخلاق؛ وإذا تصفحنا ديوان العرب وجدنا أن الشاعر الجاهلي وهو في قمة جاهليته يتناول العديد من الموضوعات والأغراض التي عالجت العديد من المشاكل؛ التي كان يعاني منها المجتمع يومئذ، وكأنه استشرف المستقبل ورأى بعين البصيرة ما قد يحدث ، ويرى يوسف اليوسف: " بات من المتعذر فهم العصر الراهن ناهيك بالعصور الحالية دون استيعاب الحقبة الجاهلية استيعابًا عميقًا وذلك نظرًا لحلول الغابر في الراهن؛ ولأن كل حلقة من حلقات التحول الصاعد تحمل في ذاتها إيجابيات الحلقات السابقة لها، فالحاضر هو جملة الانطفاءات التاريخية التي لا تترمد إلا كي تتجدد " [15] ، مع ملاحظة أن الموضوعات التي تناولها الشاعر الجاهلي شكلت محاور خطابه الشعري، لأنه عندما تغزل أو مدح أو بكى

---

(11) الجندي ، علي (1963م) شعر الحرب في العصر الجاهلي، القاهرة، مصر ، مطبعة لجنة البيان العربي ط1، ص 63.

اين سلام، أبو عبيد الله بن سلام الجمحي، (1394ه)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، مصر، دار المعارف، ط1، ج1/ 12.259)(

(13) نصار، حسن محمد أبو الفضل، (1957م) ، ديوان عبيد بن الأبرص، القاهرة ، مصر ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ص266.

(14) الضبي، المفضل، (1976م) ، المفضليات، تحقيق أحمد محمد وعبد السلام هارون، القاهرة ، مصر، دار المعارف، ص284. وقوله تحبسه بجعجاع : أي تحبسه

في مكان ضيق. وقيس بن الأسلت من الشعراء المخضرمين.

(15) اليوسف، يوسف اليوسف (1975م) ، مقالات في الشعر الجاهلي، دمشق، سوريا، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص 17.

أو استبكى أوهجا وذم أو افتخر؛ إنما كان يبعث برسائل ضمنية فيها العظة والعبرة، وحملت قوافيه القيم والأخلاق والعادات والتقاليد والأعراف، وكثيرا ما كان يدعو إلى نبذ الظواهر السلبية وآلياتها، وترجم بصدق أحاسيسه ومشاعره، وكل ما يرتبط بحياة الفرد، وذلك لأن العرب :" احتاجت إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة، وفرسانها الأنجاد وسمائحها الأجواد؛ لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم"[16] وقوله تدل أبناءها على حسن الشيم إلى الفضائل أي حتى يتحلوا بالفضائل.

من الشعراء الذين لخصوا القيم الأخلاقية ثابت بن أواس المشهور بالشنفرى (ت 525م) في لاميته المشهورة بلامية العرب، وقد حملت العديد من المعاني، التي تعد من أصول القيم الأخلاقية الفاضلة وضوابطها، وتصلح لكل زمان ومكان؛ لأن قيم الفطرة السوية ثابته لا تتبدل ولا تتغير، ومما جاء فيها قوله:

وَلَولا اجْتِنابُ الذَّامِ لَمْ يُلْفَ مَشرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلّا لَدَيَّ وَمَأكَلُ

وَلَكِنَّ نَفْسي حُـرَّةٌ لا تُقيمُ بي عَلى الضَّيْمِ إِلّا رَيْثَما تَحَوَّلُ

وَأطْوي عَلى الخُمْصِ الحَوَايا كَما اِنْطَوَتْ خُيُوطَةُ مَارِيٍّ تغار و تُفْتَلُ[17]

كذلك أوصى عمر بن الخطاب بتعليمها للناشئة؛ إن صحت الرواية في قوله :"علّموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق ".[18]

اهتدي الشعراء الجاهليون بفطرتهم السوية إلى المعاني السامية، لأنهم نشأوا وترعرعوا في مجتمع أو بيئة على الرغم من وصفها بالجاهلية؛ لكن يعلو فيها كعب الفضائل والمكارم والسؤدد، وأكبر شاهد ودليل على ذلك قوله، ﷺ :" إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ" [19] فكانت فيهم من صفات المؤمنين الكثير كمال قال: ﷺ لسفيانة بنت حاتم الطائي عندما أُسرت: يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا لو كان أبوك مؤمنًا لترحمنا عليه خلوا عنها إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله تعالى يحب مكارم الأخلاق" [20] وياليت أجيال اليوم تستوعب المعاني السامية التي نادى بها شعراء العصر الجاهلي، وعلى الرغم من عدم وجود شريعة سماوية تنظم حياتهم لكن فطرتهم السوية جعلتهم ينثرون في قوافيهم العديد من القيم الأخلاقية النبيلة منها:

الدعوة إلى السلم والاستقرار: وهما ضد العنف؛ وهو رأس الشر ومقدمة الحرب، والسلم والسلام في اللغة الحجارة وسميت سلاما؛ لأنها أبعد شي في الأرض من الفناء والذهاب لشدتها وصلابتها قال النابغة (604م تقريبا):

قوافيَ كالسِّلامِ إذا استمرَّتْ فليسَ يردُّ مذهبَها التَظَنِّي[21]

ورد السلام بمعنى التحية كما ذكر النابغة الذبياني في ميميته:

إن كانَ الدَلالَ فَلا تَلَجّي وَإِن كانَ الوَداعَ فَبِالسَلامِ[22]

---

(16) القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق (1955 م) ، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ، مصر، المكتبة التجارية الكبرى ، ج20/1.

(17) ديوان الشنفري، ص 62.

(18) ابن عمر البغدادي، عبدالقادر، (د.ت) خزانة الأدب، بيروت ، لبنان، دار صادر، ج16/2.

(19) البخاري ، محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري (2002م) ، بيروت ، لبنان، دار كثير، حديث رقم 273.

(20) الطائي ، يحي بن مدرك (2011م) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، تحقيق عادل سليمان جمال، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة ، المجمع

الثقافي ، ص5 . و السيرة النبويّة لابن هشام،ج4/ 225 ـ228.

(21) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق عبد الستار،عباس (1996م) ، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ص63.

(22) المصدر السابق، ص137.

العنف من محاور الحرب، وإلى هذا المعنى أشار الكيالي:" ظاهرة استخدام العنف والإكراه كوسيلة لحماية مصالح، أو لتوسيع نفوذ أو لحسم خلاف حول مصالح أو مطالب متعارضة بين جماعتين من البشر" [23]، ومن افرازاتها الخراب والدمار، وبعض الإمعة أو مسلوبي الإرادة قد تنطلي عليهم هذه الحيل الرخيصة؛ التي في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب ويسعون في الأرض فسادًا دون التدبر أو إعمال الفكر ويقعون في منزلقات ما أنزل الله بها من سلطان، وخسائر لا تبقي ولا تذر؛ لكن إذا استمعوا لصوت العقل وتأملوا في التاريخ وما فيه من عظات وعبر لوجدوا ما يغنيهم من تهورهم وانحرافهم وانجرافهم وظلم أنفسهم قبل ظلم الآخرين.

نستخلص العظة مما ورد في الشعر الجاهلي؛ فقد نطق به شعراء هدتهم فطرتهم السوية إلى قيم نبيلة ومبادئ سامية، وتم هذا في غياب شريعة سماوية إلا ما توارثوه من شرائع سابقة.

احتلت الشجاعة بفرعيها المادية والمعنوية ـ الأولى قوامها القوة البدنية، والثانية تتمثل في الجرأة والشجاعة الأدبية ـذ مكانةً بارزة في حياتهم، وعلى الرغم من هذه المساحة الشاسعة التي احتلتها لدرجة لا يمكن تجاوزها في حياتهم؛ لكن نجد منهم من دق عطر منشم، ولم يكن هذا الجانب طبع في الرجل البدوي؛ لأنه كان بطبعه يجنح يعشق السلم والاستقرار ويرفض الحرب؛ لما يترتب عليها من أضرار وانبرت ثلة طيبة من الشعراء ينادون بذم الحرب منهم الأعشى(ت 7هـ) حيث يقول في ميميته:

بني عَمَّنا لا تَبعَثوا الحَربَ بَينَنا ... كَرَدِّ رَجيعِ الرَفضِ وَارِموا إِلى السِلمِ

وَكونوا كَما كُنّا نَكونُ وَحافِظوا ... عَلَينا كَما كُنّا نُحافِظُ عَن رُهمِ

نِساءِ مَوالينا البَواكي وَأَنتُمُ ... مَدَدتُم بِأَيدينا حِلافَ بَني غَنمِ

فَلا تَكسِروا أَرماحَهُم في صُدورِكُم ... فَتَغشِمَكُم إِنَّ الرِماحَ مِنَ الغَشمِ [24]

وارتفعت أصوات عدد من الشعراء وهم ينادون بنبذ الحرب، وكل مسبباتها وكان قيس بن زهير (10 هـ) من دهاة العرب المعدودين في زمانه، وفي شعره تخويف للقوم من العواقب الوخيمة التي تسببها الحرب، ودعا القوم أن يجنحوا للسلم، وكان قد شهد حرب داحس والغبراء، ورأى تطاير الرؤوس وتشتت الأشلاء، فنصح قومه وبين لهم مساوئ الحرب، وحثهم على الأخذ بأسباب السلام؛ لما فيه من الأمن؛ لأن الحرب طرقها وعرة وخاطب عبس وذبيان قائلًا:

يَوَدُّ سِنَان لو يُحارب قَوْمَنَا ... وفي الحربِ تَفْرِيقَ الجَمَاعةِ وَالأَزْلُ

يَدُبُّ وَلا يَخْفَى ليُفْسِدَ بَيْنَنَا ... دَبِيباً كما دَبَّتْ إلى جُحرِها النَّمْلُ

فيا ابنَيْ بَغِيضٍ رَاجعَا السَّلْمَ تَسْلَمَا ... ولا تشْمِتَا الأعداء يَفْتَرقَ الشَّمْلُ

وإن سبيلَ الحربِ وَعْرٌ مُضِلَّةٌ ... وإن سبيل السِّلْم آمنةٌ سَهْلُ [25]

وصب الشاعر قيس بن زهير غضبه على كل من نادى بالحرب :

وإن لَحا اللَهُ قَوماً أَرَّشوا الحرب بَينَنا ... سَقَونا بِها مُرّاً مِنَ الشُربِ آجِنا [26]

(23) الكيالي، عبد الوهاب وآخرون، (1981م) موسوعة السياسة، بيروت ، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج2/ 170.

(24) الأعشى ، ميمون بن قيس (د. ت) ديوان الأعشى ، تحقيق محمد حسين، بيروت، لبنان، دار العلوم للطباعة والنشر ، ص 304.

(25) شعر قيس بن زهير (1972م) عادل جاسم البياتي، العراق، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، ص 46. وقوله ابني بغيض (أراد بهما عبس وذبيان لأن والدهما هو بغيض بن ريث بن غطفان).

(26) المرجع السابق، ص24.

وأصبحت ثقافة محاربة الحرب متداولة بين عدد من الشعراء، وعكفوا يوضحون مخاطرها وإفرازاتها السيئة منهم امرؤ القيس (ت 540 م) في لاميته:

الحَرْبُ أَوَّلُ ما تكونُ فَتِيَّةً ... تَسْعَى بِزِيْنَتِها لكلِّ جَهُولِ

حتى إذا اسْتَعَرَتْ وَشَبَّ ضِرَامُها ... عَادَتْ عَجُوزًا غيرَ ذاتِ خَلِيلِ

شَمْطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنكَّرَتْ ... مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ والتَّقْبِيلِ (27)

ومن عيون الشعر الذي جادت به القريحة الجاهلية معلقة حكيم شعراء الجاهلية زهير بن أبي سلمى (ت حوالي 611 م) التي حذر فيها من مخاطر الحرب وما تجره من ويلات، وحديثه نابع من تجربة حياتية وواقع شهده بأم عينه لا يخالطه شك، ونتائجها وخيمة؛ لأنه قلما توجد حرب بدون خسارة في الأرواح، وحرب بدون آثار سلبية أو دمار أمر بعيد المنال أو ضربا من ضروب الخيال

وَمَا الحَرْبُ إلاَّ مَا عَلِمْتُمْ ذُقْتُم ... وَما هوَ عَنْها بِالحدِيثِ المُرَجّم

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيْمَةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا ... وَتَلْقَحْ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ

فَتُنتَج لَكُم غِلمانَ أَشأَمَ كُلُّهُم ... كَأَحمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِع فَتَفطِمِ

فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لاَ تُغِلُّ لأَهْلِهَا ... قُرَىً بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَمِ (28)

والحرب ميدان من ميادين الفروسية، و للتباهي بالقوة العسكرية والعدة والعتاد، وبعد ما تضع أوزارها المنتصر يحصد بعض المنافع المادية والمعنوية، لكن هذه المنافع تتضاءل أمام هلاك العنصر البشري؛ لأنها رحى طاحنة تهلك النسل والحرث وغيرها من الأضرار. وكما أشار حكيم الشعراء(فَتُنتَج لَكُم غِلمانَ أَشأَمَ كُلُّهُم) أي الأبناء الذين يولدون أثناء الحرب يكونوا مصدرا من مصادر الشؤم بالنسبة لأبائهم، وبالتالي لا يشكلون أي إضافة للمجتمع بل يكونوا خصمًا عليه.

وضم ديوان العرب بين دفتيه العديد من القوافي؛ التي تنادي بنبذ الحرب وذمها، وهذا دليل قاطع على سماحة نفوس العرب في الجاهلية؛ التي فطرت على الفطرة السوية السليمة التي تعاف وتكره كل مظهر من مظاهر العنف؛ لما يترتب عليه من أضرار؛ لذا لابد من تحكيم العقل، وفتح باب الحوار على مصراعيه، والنظر للأمور برؤيا تناسب روح العصر، ومحاولة حل أي أزمة أو مشكلة قد تعترض مسيرة الحياة، والالتزام بكل نهج ينادي بذم الحرب ونبذها، علمًا بأنها لم تكن الخيار الأمثل للرجل الجاهلي، بل دفعتهم بعض الظروف لخوضها منها الأعراف والعادات والتقاليد؛ لأن دستور القبيلة يعلو ولا يُعلى عليه، وكان ملزما بالنسبة لهم ولا يستطيعون الفكاك عنه. وكان الرجل البدوي يدور في فلك قبيلته وحيث ما ساقه هواها اتجه دون أدنى اعتراض.

بينما أشار ابن خلدون في مقدمته:" اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ براها الله وأصلها، إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب كل منها أهل عصبيته". (29)

المرأة في العصر الجاهلي فقد كانت واعية ومدركة لمخاطر الحرب؛ وشاركت في نبذ أسبابها ودوافعها بل حاولت أن تخمد نيرانها، وعملت جاهدة من أجل تحقيق هذه الغاية؛ وذلك لضبط ثورة بعض النفوس الضعيفة؛ التي تدعو للحرب، لذا حاولت المرأة في العصر الجاهلي أن تمنع زوجها من الولوج إلى ميادين الحرب وخوض غمارها،

(27) امرؤ القيس، (1984م) ، ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ، مصر، دار المعارف، ص353.

()28 ابن أبي سلمى، زهير، (1988م) ، شرح على حسن فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان. ص107 ـ 108.

(29) ابن خلدون، عبد الرحمن، (1408هـ) ، مقدمة ابن خلدون، بيروت ، لبنان، دار الفكر العربي، ص334.

وكذلك خوفًا على نفسها من الترمل، أو على عيالها من اليتم، وقد يقع زوجها في الأسر، وكلها تعني أنها سوف تفقد المعيل والحامي لها ولعيالها، وقد ضربت بهيسة بنت أوس بن حارثة الطائي يوم زفافها أروع الأمثلة في هذا المضمار وحثت زوجها ليصلح بين عبس وذبيان: " فبعد زواجها من الحارث بن عوف، وحملها له إلى حماه، كانت حرب داحس والغبراء، قد اشتدت أوارها بين بني عبس وبني ذبيان فعندما جاء إليها ليلة عرسه منها ورأته مرتديًا مطارف العرس، قالت: والله لقد ذكرت من الشرف ما لا أراه فيك قال: وكيف؟ قالت: أتفرغ للنساء والعرب يقتل بعضهم بعضا؟ قال: فيكون ماذا؟ قالت: اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم، فخرج لساعته إلى صاحبه خارجة بن سنان وقص عليه حديث امرأته، فقال: والله إني لأرى همة وعقلاً ولقد قالت قولاً فخرج الرجلان ومشيا بين القوم بالصلح وحملا حمائل (أي ديات) القوم وديات قتلاهم. فكان نزلا عنه ثلاث آلاف بعير في ثلاث سنوات" [30]

ومع هذه النماذج المشرفة في العصر الجاهلي نجد في المقابل من كانت تحارب مع الجيش وتستنهض همة الجنود للقتال من أجل الثأر وغيره من الأسباب، وأكبر شاهد ودليل على ذلك حروبهم التي سميت بأيام العرب وما أكثرها في مجتمعهم والتاريخ شاهد على ذلك.

في العصر الراهن آن الأوان للاستفادة من هذه الخبرات التراكمية، والفوائد الثمينة؛ التي جادت بها قرائح كانت شاهد عيان، على الافرازات السيئة التي أفرزتها الحرب وويلاتها، وخلصوا إلى نبذ كل ما قد يؤدي لها؛ كذلك علينا أن نوظف خبراتهم وحكمهم؛ ونستثمرها لتحقيق الأمن والسلام الاجتماعي في عصر الحضارة والتقدم العلمي، ونسد كل الثغرات؛ التي قد تؤدي إلى الحرب حتى يعاف عطر منشم.وهكذا أدرك بعض القوم أهمية السلم ومنهم من التزم نهج عروة بن الورد (ت 607 م) ودعوته إلى السلم في لاميته:

عَلَيكَ السِلمُ فَاِسلَمها إِذا ما ... أَواكَ لَهُ مَبيتٌ أَو مَقيلُ

بِأَن يَعيا القَليلُ عَلَيكَ حَتّى ... تَصيرَ لَهُ وَيَأكُلكَ الذَليلُ

فَإِنَّ الحَربَ لَو دارَت رَحاها ... وَفاضَ العِزُّ وَاِتُّبِعَ القَليلُ

أَخَذتَ وَراءَنا بِذُنابِ عَيشٍ ... إِذا ما الشَمسُ قامَت لا تَزولُ[31]

ب- مكارم الأخلاق:

الأخلاق من أهم المحاور التي تشكل الجانب الروحي لحياة الإنسان؛ أيا كانت العقيدة التي يؤمن الإنسان؛ والأخلاق هي التي توضح مدى ما يتمتع به الفرد أو المجتمع من سمو ورقي، ولخص أحمد شوقي هذا المعنى في قوله:

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا [32]

وقوله كذلك:

وَإِذا أُصيبَ القَومُ في أَخلاقِهِم ... فَأَقِم عَلَيهِم مَأتَماً وَعَويلا[33]

والفضائل والمكارم اليوم لا تقل أهمية عما كانت عليه في الماضي، بل إزدادت الحاجة إليها، نسبة للمخاطر والدسائس التي تحيط بالشعوب والأمم، ويصطلي بنيرانها الفرد والمجتمع؛ فلابد من الاهتمام بالمكارم والعض عليها بالنواجذ؛ حتى يتحاشى المجتمع الفتن والمحن؛ التي قد تلحق به من جراء التفريط في هذه المكارم، ومتى ضاعت انتهت

---

(31) ديوانا عروة بن الورد والسموأل (د. ت) ، بيروت، لبنان، دار صادر، ص 95.

(32) شوقي، أحمد ، (2012م) الشوقيات ، القاهرة ، مصر، ،مؤسسة هنداوي للطباعة للتعليم والثقافة، ص20.

(33) المصدر السابق، ص 247.

القيم الأخلاقية من قاموس أي مجتمع من المجتمعات؛ بل قد يقضي على الأمن العام أو قد يتعرض لحالة من الشلل التام.

لقد انتبه الرجل الجاهلي إلى أهمية الاستقرار؛ لأنه خَبِر الحرب وعرف ما تجره من ويلات، وهلاك للعنصر البشري والموارد الطبيعية، وغيرها من الخسائر المادية والمعنوية، ومن ثم تهدد استقراره وأمنه، وانتبه الرجل البدوي بفطرته السليمة إلى أهم الآليات التي يحافظ من خلالها على منظومة القيم الأخلاقية؛ ويجعله يقف سدًا منيعًا ضد كل من يحاول استلاب مقوماته أو تقويضها.

والشعر الجاهلي يزخر بنماذج طيبة أسست لأهمية الالتزام بهذه المبادئ، ووضعت لها الأسس الثابتة المتينة؛ لأنها تعبد الطريق نحو استقرار الفرد ورفاهيته. والاستقرار والرفاهية من صميم طموحاته؛ لأن حياته لا تتقدم إلا تحت مظلة الاستقراروما يصاحب ذلك من رفاهية.

وصف المجتمع الجاهلي بالجهل؛ ومن معانيه ما هو ضد العلم؛ كذلك من معانيه السفه والطيش؛ نسبة لعدم وجود شريعة سماوية تنظم حياتهم؛ إلا ما توارثوه من بقايا الشرائع السماوية السابقة ، ووصف النعمان بن المنذر حياتهم الدينية بقوله:" ...، أما دينهم وشريعتهم فإنهم متمسكون بها حتى يبلغ أحدهم من شدة تمسكه بدينة أن لهم أشهراً حرماً وبلداً محرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبية أو قاتل أخيه وهو قادر على الأخذ بثأره وإدراك رغمه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى" [34]

أما كلمة الجهل التي نسب إليها العصر الجاهلي؛ لا تحط من قدر عرب الجاهلية، ولا تعني انحطاطهم من الناحية الأخلاقية؛ لأنهم كانوا يدينون بديانات مختلفة؛ فمنهم من كان على ملة الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، ومنهم من كان يدين باليهودية ومنهم من تنصر، ومنهم الصائبة وغيرها من المعتقدات.

ومما لا شك فيه أن عرب الجاهلية كانوا على قدر من كبير من السمو والرفعة، وأكبر دليل وشاهد على ذلك أن المصطفى ﷺ ،عاش في هذا المجتمع قبل مبعثه الكريم، وبعث على رأس الأربعين، وأتته الرسالة وهو بين ظهرانيهم وقال الحق عز وجل﴿ ** ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ** ﴾ [35]

مكارم الأخلاق التي تحلى بها الرجل الجاهلي وفاخر بها كثيرة ومتعددة؛ وهي من أهم مقومات الفطرة السليمة وركائزها؛ ؛ فُطر الرجل الجاهلي على الفطرة السليمة ونشأ وترعرع فيها، وتدور في فلك السؤدد والفضائل وهدته هذه الفطرة السليمة السوية إلى حزمة من القيم الطيبة منها؛ العفة والوفاء بالعهد، ومنهما تفجرت العديد من القيم الطيبة والمعاني السامية؛ لأنهما من أهم المبادئ التي تحلى بها الرجل الجاهلي، وفاخر بها؛ وهي من الآليات التي تسمو بشخصية الإنسان، ولخصها السمؤال بن عاديا في قوله:

إذا المَرءُ لَم يُدنَس مِنَ اللُؤمِ عِرضُهُ .فَكُلُّ رِداءٍ يَرتَديهِ جَميلُ [36]

عليه لابد من نفض الغبار عن هذه الدرر النفيسة؛ التي جادت بها القرائح في العصر الجاهلي قبل أن يشرق نور الإسلام وكان مصدر إلهامهم الفطرة السوية وما توارثوه من بقايا الشرائع السماوية؛ والهدف من ذلك حتى تتعرف النفوس الغضة الطرية على هذه النفائس الثمينة التي شكلت منظومة الثقافة في العصر الجاهلي والتي مهدت بدورها للحضارة الإسلامية العربية؛ كذلك من الأهداف أن تصبح هذه المبادئ ضمن منظومة أسلوب التعامل

(34) صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، ص17

(35) من سورة الأنعام ، آية/ 124.

(36) ديوانا عروة بن الورد والسموأل، ص 90.

اليومي، ليألفها المجتمع فتشكل محورا من محاور ثقافته؛ وبالتالي تكون حصنًا حصينًا للفرد ولمجتمعه وتجنبهما من الوقوع في كثير من المنزلقات السيئة.

العفة:

جادت قريحة الشاعر الجاهلي بمعان جميلة؛ تتحدث عن العفة ووضعها في قوالب شعرية؛ تشرح الصدر وتسر الناظرين، وكما اهتم بالجوهر اهتم بالمظهر، وكان ثمرة جهده الطيب لوحات فنية زاهية الألوان، والعفة من المفردات الشريفة؛ التي يعلو كعبها على مر العصور والدهور؛ لما لها من أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع، والعفاف في حياة الإنسان هو سر نجاحه وتفوقه وتميزه؛ في شتى محاور الحياة، وإذا غاب العفاف في أي مجتمع من المجتمعات أطلت الرذيلة برأسها؛ بل غيابه يفتح الباب على مصراعيه لكل ضروب الفساد؛ ومتى ما عم الفساد اضطربت الحياة وقد تنتفي أسباب الحياة الحرة الكريمة؛ التي ينشدها كل إنسان، وهنا تتزعزع النفس البشرية، وتفقد راحة البال وتطل السلبيات والآفات الاجتماعية ، وتتعاون كل السلبيات وتنشط لتدمير الفرد والمجتمع؛ لأن البيئة أصبحت بيئة سيئة أقل ما توصف بها إنها بيئة طاردة للقيم والمبادئ فضلًا عن الحياة القاسية من ناحية كسب العيش؛ وأي بيئة تتصف بهذه الصفة لا تصلح أن يعيش فيها الإنسان؛ لأنها تفتقد إلى بعض مقومات الحياة، كذلك تؤثر في نفسية الفرد وتشل تفكيره.

العفة في أبسط معانيها تعني الترفع عن الدنيا، وعن كل ما يتنافى مع عقيدة الفرد، وفي اللغة عرفها صاحب اللسان بقوله:" عَفَّ عن الحرام يعِفُّ عِفَّةً وعَفًّا وعَفَافَةً أي: كفَّ، والعِفة الكَفُّ عما لا يَحِلُّ، والاسْتِعْفاف طلَبُ العَفافِ " [37] ووضح عنترة بن شداد (ت 806 م) عفته والكيفية التي كف بها عن الحرام وهي غض البصر ، والمحافظة على حقوق الجار وحرمته في قوله:

وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي حَتّى يُواري جارَتي مَأواها

إِنّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ ماجِدٌ لا أُتبِعُ النَفسَ اللَجوجَ هَواها [38]

في الاصطلاح عرف الجرجاني العفة بقوله هي :" هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الذي هو تفريطها، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة " [39] وعرفها الجاحظ بقوله:" ضبط النفس عن الشهوات وقصرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد، ويحفظ صحته فقط، واجتناب السَّرف في جميع الملذات وقصد الاعتدال " [40] ووافق الراغب الأصفهاني الجاحظ في أهمية ضبط النفس في تعريف العفة وعرفها بقوله:" ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية، وهي حالة متوسطة من إفراط وهو الشره وتفريط وهو جمود الشهوة " [41] ونلاحظ أن ضبط النفس هو الفيصل في تعريف العفة، ومن المناقب التي رثت بها الخنساء

(37) ابن منظور ، لسان العرب ، ج9/ 253.

(38) شرح ديوان عنترة، تح محمد طراد، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ص208ـ 209. التبريزي، الخطيب يحيى بن محمد بن علي(1992 م)

(39) الجرجاني، (1983م) علي بن محمد بن علي الزين الشريف ، كتاب التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، بيروت، لبنان دار الكتب العلمية،
ص151.

(40) الجاحظ ، تهذيب الأخلاق، ص 21.

(41)الأصفهاني، الراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص 318.

(ت 70هـ) أخاها صخرا وهي تبكيه العفة؛ متمثلة في غضه لطرفه عن المحارم، وضبطه لشهوات نفسه، ومحافظته ومحافظة على حرمة جارته:

لم تَرَهُ جارَة ٌيَمشي بساحَتِها لريبة ٍ حينَ يخلِي بيتهُ الجارُ [42]

توجد جسور تواصل متينة؛ وأواصر قربى بين ضبط النفس و القيم الأخلاقية ؛ لأن الإنسان إذا لم يتمكن من ضبط نفسه والسيطرة عليها متى ما لزم الأمر، وبالكيفية المناسبة للحالة الراهنة أو بالكيفية التي يتطلبها واقعه أو الموقف، نجده يفقد البوصلة التي تهديه إلى سواء السبيل، وهنا يكمن الخطر؛ لأن كل شيء فيه يضطرب؛ فيتشتت كيانه وتتبعثر أفكاره، ويصاب عقله بحالة من حالات الجمود أو الشلل، وتؤثر هذه العناصر في صحته النفسية والبدنية، ويعم الاضطراب سائر جسده.

العفة عند المطامع من منظور الشاعر الجاهلي أبي داود الإيادي(ت 567 تقريبا) هي من أهم الصفات؛ التي من المفترض أن تبكي عليها البواكي ؛ لذا أوصى من تبكيه من النساء أن تتحرى الصدق وتتحاشى الكذب، وتذرف الدمع الثخين على عفته وعزة نفسه ونزاهتها: يقول الإيادي:

إذا ما مت فابكيني لشيئين لا يقل كذبت وشر الباكيات كذوبها

بعفة نفس حين يذكر مطمع وعزتها إن كان أمر يريبها [43]

وافتخر الحادرة بعفة قبيلته ذبيان يقول:

إِنَّا نَعِفُّ فلا نُرِيبُ حَلِيفَنَا ونكُفُّ شُحَّ نُفوسِنا في المَطْمَعِ [44]

تنقسم العفة إلى قسمين عفة مادية وهي عفة اليد، وعفة معنوية وهي عفة النفس، ومن مشتقات العفة الاستعفاف وهو أشمل من ناحية المعنى؛ لأنه سلوك عملي، يترجم كل تصرفات الإنسان دقها وجُلها، فضلا عن الأحاسيس والمشاعر؛ حتى الاستغناء عما في أدي الناس ينضوي تحت مظلة الاستعفاف، لأن يجمع حزمة من السؤدد منها النخوة والمروءة وكان الاستعفاف سلوك عملي يلازم الرجل الجاهلي في كل شؤون حياته اليومية.

ضروب العفة متعددة ومتباينة منها؛ عدم اللجوء إلى المسألة وإهدار ماء الوجه، فالشنفرى الذي ضرب به المثل في العدو وقيل " أعدى من الشنفرى" [45] اختار أن يستف ترب الأرض والصبر على الجوع من سؤال الناس حيث يقول في لاميته:

وأستفُّ ترُب الأرضِ كي لا يُرى عليّ من الفضل امرؤ مُتفضِّل [46]

وشاركه عنترة العبسي في نهجه وفلسفته في الحياة:

وَلَقَد أَبيتُ عَلى الطَوى وَأَظَلُّهُ حَتّى أَنالَ بِهِ كَريمَ المَأكَلِ [47]

(42) الأصفهاني، أبو الفرج ، كتاب الأغاني، ج 16 / 402. الخنساء هي تماضر بنت عمر بن الشريد وهي شاعرة مخضرمة.

(43) يادي، أبو داؤد (2010م) دبوان أبي داود، تحقيق أنوار محمود الصالحي واحمد السامرائي،دمشق ، سوريا، دار العصماء ، ص251.

(44) طليمات ، الأشقر ، غازي طليمات ، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي ، بيروت ، لبنان، دار الفكر ط1 ، ص 194.

(45)العسكري، أبو هلال، (1988م) جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش ، القاهرة ، مصر، دار الفكر، ج2/ 76.

(46) الشنفرى ، ثابت بن أواس ، ديوان الشنفرى، ص 62.

(47) دبوان عنترة، ص 249.

من الصفات التي تشحذ همة الفرد صفة العفة؛ فيعلو كعبه بين الأنام، وفيها الكثير من المعاني التي تصب في بوتقة السمو بالنفس الإنسانية؛ وعفة النفس تعني التصالح مع الذات؛ ومتى ما تصالح الإنسان مع ذاته تمكن من التكيف مع المحيط الخارجي أو بيئته الخارجية، فتتوحد الرؤية بين البيئة الداخلية وهي نفسه والبيئة الخارجية أي كل ما حوله، والعفة بما تحمله في أحشائها من معان؛ نجدها لصيقة بالقيم الأخلاقية ومحاوره المتعددة؛ لأن من يترفع عن الصغائر لا يقبل أن يضع نفسه في موضع الذل والهوان، وبذا يستطيع أن ينأى بنفسه عن كل ما يشينها؛ فيرتاح باله، وتهنأ نفسه بما حولها؛ بل تستمتع به عن طيب خاطر، وهكذا يتحقق أهم محور من محاور القيم الأخلاقية؛ وهو الراحة النفسية؛ ولعلة من نافلة القول الإشارة إلى أن الراحة النفسية وعاء مطاطي ويختلف مفهومه من شخص لآخر، ومتى ما حقق الفرد هذا الانسجام والتناسق بين هذه المحاور المختلفة تتسرب السعادة إلى نفسه وتأتيه طوعا وبالتالي يستطيع أن يحمي نفسه ومجتمعه من كل ما قد يزعزع أمنه واستقراره.

نلاحظ في تاريخ التراث الأدبي أكثر من تحلى بالعفة ومضامينها المختلفة هم الشعراء الصعاليك؛ وهم شريحة تمردت على منظومة قوانين مجتمعهم؛ لكن فلسفتهم كانت سامية، وانتهجوا نهجا غايته تحقيق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع؛ فلم يكن همهم النهب لذاته، أو السلب من أجل تحقيق مصالح شخصية؛ بل كان من أجل الفقراء والضعفاء، لكن اليوم من يتخذ من الإرهاب مطية في الأساس يبحث عن تحقيق مآرب شخصية أو ذاتية تحت مسميات كثيرة، ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، والفرق شاسع بين النهجين أو الفلسفتين؛ حتى من ناحية التطبيق العملي على أرض الواقع، وتناول عبيد بن الابرص (ت598م) العفة من منظور كرم الخُلق والخصال الحميدة، وكان هذا منطلق فخره:

لَعَمرُكَ إِنَّني لَأُعِفُّ نَفسي وَأَستُرُ بِالتَكَرُّمِ مِن خَصاصِ [48]

وشاركه المعنى أبو خراش الهذلي(ت 15هـ)، ويفاخر بصبره على تحمل الجوع والصمود أمام شهوات نفسه ، وهذه الميزة من أهم عناصر عفة النفس؛ فهو عفيف متحكم في غرائزه ، ولا يقبل الذل والضيم ويفضل عليهما الموت وهو القائل:

وَإِنّي لَأُثوى الجوعَ حَتّى يَمَلَّني فَيَذهَبَ لَم يَدنَس ثِيابي وَلا جِرمى [49]

ومتى ما كان للإيثار مساحة طيبة في نفس الفرد؛ أفصحت عن مؤشر طيب؛ لمدى التفكير السليم الذي يؤتي ثماره الطيبة اليانعة إلا تحت مظلة السلامة الفكرية، ورأس الحربة في هذا المضمار العفة التي تترجم سماحة من يتحلى ، وجمال روحه. وكلما عظمت مساحة العفة في سلوك الفرد والمجتمع، ازدهرت الحياة الفكرية والثقافية وبإزدهارهما تزدهر مظاهر الحياة الأخرى.

ومما سبق يتضح لنا أن العفة من أهم الصفات التي اتصف بها الرجل الجاهلي؛ لذا كان يفاخر بها، وإذا حاولنا أن نستخلص الفوائد التي جناها من العفة كمبدأ اتخذه في حياته نجدها قد حققت ما كان يصبو إليه بفطرته؛ وهو تحقيق الأمن في مجتمع كان يعيش فيه الفرد إما قاتل أو مقتول، ومن مظاهر رفضهم لهذه للظلم ومظاهره حلف الفضول وقد شارك فيه الرسول ﷺ، قبل مبعثه الكريم:" لقد شهدت في دار عبد الله ابن جدعان

(48) الأبرص، عبيد بن الأبرص، (1958م) ، ديوان عبيد بن الأبرض ، بيروت لبنان، دار صادر للطباعة والنشر ، ص86 (الخصاص بمعنى الفقر)

(49) الهذليون ، الشعراء (1965م) ، ديوان الهذليين ، تحقيق أحمد الزينو محمود أبو الوفا القاهرة ، مصر الدار القومية للطباعة والنشر، ص 127. (الجرم بمعنى الذنب)

حلفًا لو دعيت به في الإسلام أجبت، تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعزَّ ظالم مظلومًا" [50] وأرخ الزبير بن عبد المطلب لهذا الحلف الذي يأبى الظلم بضروبه المختلفة:

حلفتُ لَنعْقِدنْ حِلفًا عَلِيهم وإنْ كُنا جَميعًا أهلَ دارِ

نُسمِّيه الفُضولَ إذا عَقدنَا يَعُز به الغريبُ لَذي الجِوارِ

ويَعْلم مَنْ حَوالي البيتِ أنَّا أُباةُ الضَيمِ نَمْنعُ كَل عَارِ[51]

وقوله كذلك:

إنَّ الفضولَ تَعاقدوا وتَحالَفوا ألا يَقيم بِبطن مَكة ظَالمُ

أمرٌ عَليه تَعاقدوا وتَواثقوا فالجارُ و المعترُ فيهم سالمُ [52]

مما سبق نستنتج أن الرجل البدوي تمكن من صياغة منظومة حياته؛ الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ـ بل كل شؤون حياته الخاصة والعامة ـ في غياب شريعة سماوية تنظم حياته، وكانت فطرته السوية هي حاديه وهاديه؛ لذا لابد من الوقوف عند القيم التي أمن عليها الإسلام وأقرها، وهذب ما يوافق آخر الرسالات، كذلك لابد من شحذ همم الناشئة واستنهاض عزائم مختلف شرائح المجتمع لقراءة التراث الأدبي أو إعادة قراءته برؤى مختلفة، ومن منظور يوافق روح العصر وطموح أجيال الغد وتطلعه.

الوفاء بالعهد والمواثيق

قيم الوفاء بالعهد والمواثيق من القيم التي رضعها الرجل الجاهلي وهو في المهد، ونشأت وترعرعت معه وآمن بها وطبقها تطبيقًا عمليًا في حياته؛ ومن مظاهر العمل بها زين بها قوافيه؛ لتزيد من حسنها وجمالها، وسارت الركبان بهذه القوافي المضمخة بقيم الوفاء ومعانيه في كل مكان وزمان، وهكذا أصبحت خالدة على مر العصور والدهور، وشنفت آذان الأدب العربي في كل محفل من المحافل.

الوفاء بالعهد في أبسط معانيه يعني الالتزام بما يقطعه الفرد على نفسه من التزامات، مهما كلفه ذلك، لذا حرص عليها الرجل الجاهلي في مجتمع يعلو فيه كعب القبيلة وصوتها على صوت الحق؛ حيث تتلاشى شخصية الفرد في الجماعة كما قال دريد بن الصمة (ت 630 م)

ومَا أنَا إلا من غَزِيَّةَ إنْ غوَتْ غوَيْتُ وإنْ تَرشُدْ غزَّيَةُ أَرْشُدِ [53]

والوفاء بالعهد من المحاور التي تحدد معالم شخصية الفرد وتميزها عن غيرها؛ وهو دليل قاطع على مدى نضوج عقله، ورحابة صدره، ومدى علمه بواجباته تجاه مجتمعه، كذلك من مؤشرات الالتزام بالوفاء بالعهد مجاهدة الإنسان نفسه؛ ليزيح أي مفردة سالبة من تعاملاته اليومية، وضرب السمؤال بن عاديا (ت 560م) المثل في

(50) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، (1990م) ، السيرة النبوية (سيرة ابن هشام) تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، لبنان دار الكتاب العربي ، ج1/ 258. (ألا يعزَّ بمعنى ألا يغلب).

(51) المرجع السابق، ج1/ 259.

(52) المرجع السابق، ج1/ 260.

(53) ابن الصمة، دريد، (2009 م) ديوان رديد بن الصمة، تحقيق عمر عبد الرسول، القاهرة ، مصر، دار المعارف، ص62.

هذا المضمار؛ حتى قيل في المثل " أوفى من السموأل " [54] وما زالت سيرته تسير بها الركبان، وخير شاهد نسوقه في هذا المضمار ما فعله السموأل عندما أودعه امرؤ القيس أدرُعه وحاجياته:

بَنى لي عادِيا حِصناً حَصينًا ... وَعَيناً كُلَّما شِئتُ اِستَقَيتُ

وَأَوصَى عَادِيا قِدماً بِأَن لا ... تُهَدِّم يا سَمَوأَلُ ما بَنَيتُ

وَفَيتُ بِأَدرُعِ الكِندِيِّ إِنّي ... إِذا ما خانَ أَقوامٌ وَفَيتُ [55]

هنالك شعرة رقيقة ودقيقة بين الوفاء بالعهد والمواثيق والقيم الفاضلة؛ لأن من يحرص على قيم الوفاء يكون أشد حرصًا على المبادئ التي تُعْلي من شأن الاستقرار ، ومن يلتزم مع نفسه ويصون عهده مع رَبْعِه وأصدقائه ينعم براحة البال ، وهذا ما كان من حال الشاعر عدي بن زيد (ت587م) حتى لو جار عليه أهله وأقاربه ولم يقابلوا وفاءه بوفاء:

وما بدأتُ خليلا لي أخـا ثقة ... بريبـةٍ ولا ربِّ الحـلِّ والحـرمِ

يأبى لي الله خونَ الأصفياءِ وإن ... خانوا وداري لأني حاجزي كرَمي [56]

أما المقب العبدي (ت 553م) فقد لخص حزمة من القيم السامية في ميميته، منها قوله:

لاَ تَقُولنَّ إِذَا مـا لـم تُـرِدْ ... أَن تُتِمَّ الوَعْدَ فِي شَيءٍ نَعَمْ

حَسَنٌ قَوْلُ نَعَمْ مِنْ بَعْدِ لاَ ... وقَبيحٌ قوْلُ لاَ بَعدَ نَعَمْ

إِنَّ لاَ بَعْدَ نَعَمْ فاحِشَـةٌ ... فَبِلا فابْدَأ إِذَا خِفْتَ النَّدَمْ

فإِذا قُلْتَ نَعَمْ فاصبرْ لَها ... بِنَجَاحِ القَولِ، إِنَّ الخُلْفَ ذَمّْ

واعْلَمَ انَّ الذَّمَّ نَقْصٌ للفَتَى ... ومَتَى لاَ يَتَّقِ الذَّمَّ يُذَمّْ

أُكْرِم الجارَ وأَرْعَى حَقَّهُ ... إِنَّ عِرْفانَ الفَتَى الحقَّ كَـرَمْ [57]

هذه القيم التي نادى بها المثقب العبدي وغيره من الشعراء الجاهليين تسد كل الأبواب المشرعة؛ التي قد يتسرب من خلالها أي اضطرابات تهدد أمن المجتمع واستقراره، ونلاحظ أن القيم التي تغنى بها الشاعر الجاهلي، واتخذها نهجا ودستورًا لتسير دولاب حياته اليومي، شكلت وبلورت محاور ثقافة العصر الجاهلي، وكأنه كان يستشرف المستقبل بعين البصيرة النافذة.

وبنزول الوحي هذب القرآن الكريم بعض الممارسات القديمة التي درج عليها العرب من عادات وتقاليد وأعراف، كما مسخ ما يتنافى مع سماحة الإسلام وتعاليمه.

التزم الرجل الجاهلي بمبدأ الوفاء، وتربى عليه، والالتزام بالوعد قيمة مقدسة عنده في ظل مجتمع تلقى القوة بظلالها عليه ، فلا مجال للغدر في قاموسه ومن تسول له نفسه بفعل أي منقصة أو ارتكاب أي مخالفة يُرفع

(54) العسكري، أبو هلال ، (1988م) جمهرة الأمثال، القاهرة ، مصر، دار الجيل، ط2 ج1 /345.

(55) ديوان عروة بن الورد والسموأل ، ص 78.

(56) العبادي، عدي بن زيد (1965 م) ، تحقيق: محمد جبار المعيبد، بغداد، العراق، دار الجمهورية للنشر والطبع، ص38.

(57) المثقب، العبدي، (1971 م) ديوان شعر، تحقيق: حسن كامل الصريفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية ، ص216 ـ217.

له اللواء في سوق عكاظ؛ للتشهير به وتأديبه على مرأى ومسمع من القوم؛ ليكون عظة وعبرة لغيره، وفاخر الشاعر الحادرة (ت مجهول) بهذه السجيّة في خطابه لصاحبته سمية:

أسُميُ ويحكِ هل سمعتِ بغدرةٍ رُفع اللواءَ لنا بها في مجمعِ

إنّا نعفُّ فلا نُريبُ حَليفنا ونكفُّ شُحَّ نفوسنا في المطمعِ [58]

وصفوة القول وخلاصته، في هذا المضمار أن القيم التي تَشَبَّع بها المجتمع الجاهلي كانت علامة فارقة في تاريخه، ومدى الالتزام بها والحرص عليها أيضًا من المحاور المهمة؛ لأنها حاولت ضبط السلوك العام للفرد في مجتمع ذاب فيه الفرد في القبيلة وتعصب لها؛ لكن هذه القيم أمنت مساحة طيبة من الاستقرار؛ أدت إلى ازدهار الثقافة والأدب أو الحراك الثقافي الفكري، وازدهاره، وهذب القرآن الكريم هذه القيم، وكتب لها السمو والرفعة بعد نزول الوحي الكريم، لكن في الوقت نفسه لا ننكر أن المجتمع الجاهلي كان يعاني من بعض التفلتات والممارسات السلبية، التي ألقت بظلالها السيئة على الفرد والمجتمع، ولم تسلم منه بعض الشرائح الضعيفة، هذه التلفتات التي وجدناه سابقًا، شبيه إلى حد كبير بما نراه اليوم من استلاب للعقل ودفع بعض العقول الهشة الغضة؛ لتسلك دروبًا تفضي بها إلى مزالق لا تُحمد عُقباها.

عليه لابد من غرس القيم والتعاليم السامية في النفوس الغضة وإعادة قراءة التراث الأدبي والتنقيب عن نفائسه وفق منهج مدروس تحت مظلة العولمة والتقنيات الحديثة، واستثمار وما جادت بها من علوم ومعارف وتوظيفها لزيادة مساحة التحلي بالفضائل، ووأد كل الأفكار التي تحاول النخر في عظم المجتمع.

الخلاصة : أمنت الدراسة على أهمية دراسة الشعر الجاهلي؛ لمعرفة ما حواه من قيم أخلاقية سامية. حتى يدرك الفرد أهمية القيم التي تحلى بها الرجل البدوي وهو في قمة جاهليته في مجتمع كان فيه إما قاتل أو مقتول.

النتائج

- يجب توظيف التراث الأدبي واستثماره بطريقة علمية وعملية، ووضع البرامج المدروسة لتدريسه بوسائل وآليات ووسائط تتماشى مع روح العصر؛ حتى تتم الفائدة المرجوة منه. وذلك بالبحث والتنقيب عن كنوزه النفيسة، واستخراج ما فيها من عظات وعبر.
- القيم التي تشبع بها المجتمع الجاهلي؛ كانت علامة فارقة في تاريخه، ومدى الالتزام بها والحرص عليها أيضا من المحاور المهمة.
- لقد تمكَّن الرجل البدوي؛ من صياغة منظومة حياته الفكرية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في غياب شريعة سماوية تنظم حياته، وكانت فطرته السَّوية هي حاديه وهاديه.
- كان عرب الجاهلية على قدر كبير من السمو والرفعة، وأكبر دليل وشاهد على ذلك أن المصطفى ﷺ ؛ عاش في هذا المجتمع قبل مبعثه الكريم، وبُعث على رأس الأربعين، وأتته الرسالة وهو بين ظهرانيهم. ليتتم مكارم الأخلاق.
- لم تكن الحرب هي الخيار الأمثل أو الأفضل بالنسبة للرجل البدوي، لكن قانون القبيلة ودستورها قد يفرضها عليه؛ فضلا عن ذلك العادات والتقاليد والأعراف؛ التي نشأ وترعرع فيها؛ كانت ملزمة بالنسبة له ولا يستطيع الفكاك عنها.
- لابد من معرفة القيم الأخلاقية الفاضلة في العصر الجاهلي وخاصة؛ التي أمّن الإسلام عليها وحث على التمسك بها .

(58) الحادرة، قطبة بن أوس، (د. ت) ، ديوان شعر، تح ناصر الدين الأسد ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ص310.

- والتمسك بالقيم الأخلاقية السامية مسؤولية تضامنية، تقع على عاتق كل أفراد المجتمع ومؤسساته المدنية والرسمية. ولا يعني ذلك محاربة الثقافات الأخرى أو رفض أي جديد مفيد.
- التحلي بالقيم الأخلاقية من أهم الآليات التي تتولى تحرير الذات والحفاظ عليها من ذل العبودية الفكرية؛ حتى لا يتم التغول عليها أو الغائها أو تهميشها أو مجرد احتوائها؛ بأي شكل من أشكال التبعية.
- حتى يتم معرفة حقيقة القيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي لابد من سبر أغواره.

التوصيات

- الاهتمام بدراسة التراث الأدبي، بآليات وأساليب تواكب روح العصر وترضي طموح الشباب وتطلعاتهم
- التعرف على محاور القيم الأخلاقية؛ حتى تصبح ثقافة مجتمع وأسلوب حياة.
- الاهتمام بغرس القيم الأخلاقية في النشء.

مكتبة البحث

أولاً المصادر:

- القرآن الكريم
- السنة النبوية الشريفة.

1. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ، لسان العرب ،(2000م) دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
2. ابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب ،(1990م)، السيرة النبوية(سيرة ابن هشام) تحقيق عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان.
3. أبو الوفا : محمود ، والزين ، أحمد (1965م)، ديوان الهذليين ، دار الكتب المصرية القاهرة ، مصر.
4. الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد أبو الفرج:(1927م) الأغاني، مطبعة دار الكتاب المصرية، القاهرة، مصر.
5. البخاري: محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري (2002م) ، دار كثير، بيروت ، لبنان،
6. البستاني: بطرس (١٩٨٧ م)، محيط المحيط . مكتبة لبنان ، بيروت، لبنان.
7. البغدادي: ابن عمر البغدادي، عبدالقادر، (د.ت) خزانة الأدب، دار صادر، بيروت ، لبنان.
8. التبريزي : الخطيب يحيى بن محمد بن علي(1992م) شرح ديوان عنترة، تح محمد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
9. الجاحظ : أبو عثمان عمر بن بحر (1989م)، تهذيب الأخلاق، دار الصحابة للنشر والتوزيع ، طنطا، مصر.
10. الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف ، (1983م)/كتاب التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
11. خلدون: عبد الرحمن بن محمد، (1408ه)، مقدمة ابن خلدون، بيروت ، لبنان، دار الفكر العربي.
12. صفوت: أحمد زكي صفوت ،(1923م)، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (العصر الجاهلي وصدر والإسلام) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولادة ، القاهرة ، مصر.
13. طليمات: الأشقر، غازي طليمات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي ، دار الفكر، بيروت ، لبنان.

14. عبد ربه : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي(1983م) ، العقد الفريد ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.
15. العسكري : أبو هلال، (1988م) جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش ، دار الفكر، القاهرة ، مصر.
16. القيرواني : أبو علي الحسن بن رشيق (1955 م) العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ، مصر.
17. الكيالي: عبد الوهاب وآخرون،(1981م)موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان.
18. النيسابوري: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني (د. ت) كتاب مجمع الأمثال تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
19. اليوسف: يوسف اليوسف(1975م)، مقالات في الشعر الجاهلي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا.

ثانياً : المراجع:

1. جمال: عادل سليمان، (1990م)، شعر الأحوص الأنصاري، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

الندوات: العلمية:

1. المجدوب، أحمد علي (١٤٠٨هـ) : القيم الأخلاقية والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه . الندوة العلمية الرابعة " نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية " ، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض. المملكة العربية السعودية.
2. الجندي ، علي (1963م) شعر الحرب في العصر الجاهلي، القاهرة، مصر ، مطبعة لجنة البيان العربي ط1.
3. ابن سلام، أبو عبيد الله بن سلام الجمحي، (1394هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، مصر دار المعارف، ط1.

ثالثا : دواوين الشعر

1. إبراهيم : محمد أبو الفضل إبراهيم (د. ت) ، ديوان النابغة الجعدي، دار المعارف ، القاهرة ، مصر.
2. الأبرص: عبيد بن الأبرص، (1958م)، ديوان عبيد بن الأبرص ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت لبنان.
3. الأعشى: ميمون بن قيس (د. ت) ديوان الأعشى ، تحقيق محمد حسين، دار العلوم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان
4. امرؤ القيس : ابن حُجر بن الحارث ، (1984م) ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ، مصر.
5. جاسم : عادل جاسم البياتي ، شعر قيس بن زهير (1972م) ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، العراق.
6. قطبة بن أوس، (د. ت) ، ديوان شعر ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، مجلة معهد المخطوطات العربية
7. الصمة : دريد (2009 م) ديوان رديد بن الصمة، تحقيق عمر عبد الرسول ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر.
8. الضبي، المفضل، (1976م) ، المفضليات، تحقيقأحمد محمد وعبد السلام هارون، دار المعارف ،القاهرة ، مصر ،
9. زهير: ابن أبي سلمى، زهير، (1988م) شرح على حسن فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
10. شوقي: أحمد ، (2012م) الشوقيات ، القاهرة ، مصر.

11. الشنفرى: ثابت بن أوس، ديوان الشنفرى (1991م) تحقيق أميل يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.
12. العبادي: عدي بن زيد (1965 م)، تحقيق: محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، العراق.
13. عبد الستار: عباس (1996م) ديوان النابغة الذبياني ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
14. المثقب: العبدي، (1971 م) ديوان شعر، تحقيق: حسن كامل الصريفي، معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية .
15. الهذليون، الشعراء، (1965م) ديوان الهذليين ، تحقيق أحمد الزين، محمود أبو الوفا القاهرة ، مصر الدار القومية للطباعة والنشر.